القرينةُ الحالّيةُ الداخليةُ وأثرُها في توجيه المعنى في تفسير البَسِيْط للواحديّ (ت468هـ)

أ.م.د. رجاء خلف عواد التكريتي م.م. حامد حسين حنيحن

كلية الآداب/ جامعة بغداد

The current internal argument And its effect in directing the meaning in the simple interpretation Al-Wahidi (d. 468 e)

Ass.Prof.Dr. Raja Khalaf Awad Al-Tikriti
Ass.Lec. Hamed Hussein Hanihan
College of Arts\ University of Baghdad

Abstract:

Arabic language is discrimined in many characteristics and features which help us for getting the meaning and make it very clear. They also help us to understand the text and illustrate its significance.

This research observes plenty of significant relations between what the human being lead of the moment and physical expressions with it's linguistic meanings, as a helpful in ference in the Qoranic explanation.

The human communication doesn't only depend on the words but it also transcend to the physical movement inseparable expressions and movements that accompany the human speech, so these expression and movements can be considered a very important and basical factor in the mankind's communication process that it find out the mind's opinions.

and what happens in the human mind can be affected to explain the meaning and appears the evidences in clear figures .

Keywords: Alqrainp, current, Dementia (boredom), Vomiting, silence.

الملخص

تمتاز اللغة العربية بكثير من الخصائص والصفات التي تساعد في إيصال المعنى، ووضوحه والتي تساعد بدورها على فهم النص ووضوح دلالته.

ويرصد هذا البحث مجموعة من العلاقات الدلالية بين ما يؤديه الإنسان من حركات وتعابير جسدية، وبين معانيها اللغوية، كقرينة مساعدة في التفسير القرآني.

فالتواصل الإنساني لا يقوم على الكلمات فقط، إنّما يتعدى ذلك إلى حركات تصدر عن جسم الإنسان، أو ما يصاحب كلامه من أصوات حركات وتعابير متلازمة معها، مما يجعلها عاملاً أساسياً ومهماً في عملية التواصل البشري، فتكشف عن خلجات النفس، وما يدور في خلد الإنسان، مما له أثر في توضيح المعنى، وظهور الدلالة، في انساق واضحة.

الكلمات المفتاحية: القرينة، الحالية، التأفف (الضجر)، التأوه، الصمت.

المقدمـــة:

فقد شدّنا موضوع القرائن في عالم العربية، الذي سالت به أقلام نخبة من أبنائها التي كرمّها الله تعالى، بإنزال كتابه الكريم بها. فحفظها وحفظته، فكانا ميدان علم ثرّ لمن رام الخوض فيهما.

واخترنا دراسة القرينة الحالية الداخلية، لأنّها من القرائن التي لها أثر واضح في إظهار الدلالة والمعنى الذي ربما يكون غامضاً من دونها. وكان التفسير البسيط للواحدي(ت468هـ)، هو ميدان تلك الدراسة لما فيه من إشارات واضحة لتلك القرائن.

وقسمنا البحث على ثلاثة مطالب يسبقها تمهيد تحدثنا فيه عن القرينة الحالية وأهميتها، لأنها لغة قائمة بحد ذاتها، مستقلة عن لغة الإنسان، وان تلازمت معها في كثير من الأحيان. وعقبنا البحث **بخاتمة** ضمت أهم النتائج التي توصل إليها البحث، أمّا المباحث، فهي:

المطلب **الأول:** وتناولت فيه ألفاظ (قرينة، حالية، داخلية) ودلالاتها من حيث اللغة والاصطلاح. في معاجم اللغة وكتب التعريفات المعتمدة.

المطلب **الثاني:** تناولت فيه مفهوم القرينة الحالية الداخلية عند القدامى، مثل سيبويه والمبرد، والجاحظ، وغيرهم من العلماء، وهل كانت غائبة عن أذهانهم أم لا؟!

المطلب **الثالث:** وتناولت فيه مفهوم هذه القرينة عند الواحدي من حيث لغة الصمت، والصوت مثل الولولة، والتأفف و التأوه، فضلا عن حركات الجسد كتعبيرات الوجه وحركات الأعضاء والهيأة والمظهر.

وقد استعنـّا بمجموعة من المصادر والمراجع، في مقدمتها: القرآن الكريم، والتفسير البسيط، والجامع لأحكام القرآن، وكتاب سيبويه والمقتضب للمبرد وغيرهما، والمعاجم العربية ومنها: كتاب العين، ومعجم لسان العرب، وتاج العروس، وكتب معاني القرآن للفرّاء والزجّاجي وغيرهما، وكتب فقه اللغة وبعض المصادر الحديثة العهد.

وختاما: لا يسعنا إلاّ أنْ نقدم الشكر والامتنان لكلَ مَنْ ساعدنا في إنجاز هذا البحث راجين أن يكون مصدر فائدة لدارسي لغتنا العظيمة وعشاقها.

والله ولي التوفيق.

تمهيـــــد:

يراد بالقرينة الحالية الداخلية ما يصاحب الكلام من الأحداث غير المنطوقة، من حركات جسمية، كالإشارات، والايماءت، وتعابير الوجه، وكل ما يحيط بالمتخاطبين من ظروف[1]. وبعبارة أخرى هي ما يقوم به الإنسان من حركات، وتصرفات عن طريق أحد أعضاء جسمه، أثناء الحدث الكلامي عوضاً عن كثيرٍ من الألفاظ المنطوقة، التي يلاحظها الراوي وينقلها. وسمّيت هذه القرينة بالقرينة الحالية الداخلية فَرْقاً بينها وبين غيرها؛ لأنّها تحدث في داخل التكوين الإنساني، جسماً ومشاعرَ.

إنّ الحركات التي تصدر من جسم الإنسان ما هي إلاّ لغة قائمة بحدّ ذاتها، لها نماذجها المعبّرة والمستقلة عن لغة اللّسان (التخاطب) وإن تلازمت معها في كثير من الأحيان. فالإنسان يستعمل الإشارات والحركات الجسدية إما كمرادف لما يقوله شفوياً، وإما لإثارة الشّك والريبة، أو لإخفاء شعور باطني، أو للإيحاء باتجاه معيّن[2].

وكان للعرب تراث عريق في معرفة الحركات الجسمية[3]، وتكون هذه الحركات «ذات معنى يقوم بها عضو واحد في جسم الإنسان أو أكثر من أجل الاتصال غير اللغوي أو تكون مصاحبة للاتصال اللغوي»[4].

لقد ضمَّ القرآن الكريم بين دفتيه آيات تدلّ على الحركات الجسمية، فقد يلقى المخاطَب أو القارئ «آيات كريمات على أوصاف من الحركات الجسدية المؤدية إلى معانٍ، وقد تكون تلك الحركة سبيلاً من سُبل وصف المعنى وتشكيله، ويكون سبيلها الكناية، كتقليب الكفين في مقام الندم في التنزيل، أو تقديم رجل وتأخير أخرى في مقام الحيرة والتردّد في كلامنا اليومي»[5]. فالناظر في القرآن يدرك وبوضوح استعمال القرآن لكثير من الألفاظ التي دلّت على الحركات الجسمية.

المطلب الأول_ القرينة الحالية الداخلية لغة واصطلاحًا:

1_ القرينة الحالية الداخلية لغة:

من الواضح أنّ مصطلح القرينة الحالية الداخلية مصطلح حديث مركّب من ألفاظ هي(القرينة)، و(الحالية)، و(الداخلية)، والقرينة أشير إليها في التمهيد، لذا سوف نشير إلى دلالتي الحالية والداخلية. فهما من المصادر الصناعية، وعند العود إلى معاجم

(1) ينظر: دراسات في علم اللغة، كمال بشر: 58.
(2) ينظر: لغة الجسد، الخوري: 11.
(3) ينظر: علم الحركات الجسمية (بحث منشور): 221.
(4) معجم علم اللغة التطبيقي: 62، وينظر: علم الحركات الجسمية (بحث منشور): 222.
(5) البيان بلا لسان، الدكتور_مهدي عرار: 169.

لغتنا، نجد أنّ دلالة (الحالية) هي: حال الإنسان: ما يختصّ من أموره المتغيرة الحسية والمعنوية، فـ«الحال تؤنث فيقال: حال حسنة، وحالات الدهر وأحواله: صروفه، والحال: الوقت الذي أنت فيه»[1]، وحال الإنسان: «كينَة الإنسان وهو ما عليه من خير أو شرّ، يذكر ويؤنث، والجمع أحوال وأحولة»[2].

أمّا كلمة (الداخلية) في اللغة فمن دلالاتها:

«الدخول نقيض الخروج، دخل يدخل دخولاً وتدخل ودخل به»[3]. و«داخل كلّ شيء باطنه الداخل»[4]. ومنه: «داخلة الرجل: باطنُ أمره، وكذلك الدُّخلّة بالضمّ، ويقال: هو عالمٌ ودَخيلته ودَخيله ودُخلُّه ودخلُّله ودُخيلاؤه، ودخيلته ودِخيلُه ودُخله ودَخلَّله ودخيلاؤه: نيَّته ومذهبه وخَلَدُه وبطانته؛ لأنّ ذلك كله يداخله... ودَخلته ودِخلَته ودُخلُّه ودخلَتَه ودخيله ودخيلَتهُ: أي باطنته الداخلة، وقد يضاف كل ذلك إلى الأمر كقولك دخلةُ أمره ودِخلةُ أمره»[5]. وتدور دلالة دخل اللغوية في أغلبها على ما في داخل الشيء مادياً أو معنوياً.

2_ القرينة الحالية الداخلية اصطلاحاً:

بما أنّ المصطلح ظهر حديثًا، ولم يكن القدامى يجهلوه، غير أنّهم لم يضعوا تعريفاً معيناً للدلالة عليه، إلاّ أنّ المحدثين أدلوا بتعريفات منها:

فالقرينة الحالية الداخلية هي: «الرسالة التواصلية الموجودة في الكون الذي نعيشه، ونتلقّاها عبر حواسّنا الخمس، ويتمّ تداولها عبر قنوات متعدّدة، وتشمل كلّ الرسائل التواصلية حتى تلك التي تدخل مع اللغة اللفظية والتي تعتبر من ضمن بنيتها»[6].

أو هي: «نوع من التواصل غير الشفهيّ»[7].

أو هي: «الحوار النفسيّ الذي يجري بين الأطراف المعنية والمعاني المنتقلة بينهم، لا من خلال النطق، بل من خلال الصمت والملامح العامة للإنسان الصامت؛ كنظرات العيون وتعبيرات الوجه وحركات الجسم»[8].

أو هي: «إشارات أو إيماءات جسدية ترسل رسالات محددة في مواقف وظروف مختلفة، تظهر لك المشاعر الدفينة وتخرجها للسطح، فتصل من خلالها معلومات أو أفكار عن الشخص الآخر، بحيث لا يستطيع إخفاء الأفكار التي تدور في ذهنه»[9].

المطلب الثاني _القرينةُ الحالّيةُ الداخليةُ عند القدامى:

لم يكن مفهوم القرينة الحالية الداخلية بحركاتها، وأصواتها، ورموزها، وغيرها، غائبة عن أذهان القدامى من علمائنا العرب، لقد لاحظوا تلك الأمور فأشاروا إليها في مؤلفاتهم، فمن أولئك على سبيل الإجمال والاختصار:

1_ سيبويه: ويعود أقدم استعمال لمفهوم الحركات الجسمية، إلى سيبويه، فقد أورد عدة تعبيرات منها: «لما يرى من الحال»[10]، وقوله: «لما فيه من الحال»[11] وأشار أحد الباحثين إلى أنّ سيبويه حرص «حرصاً شديداً على عدم فصل الكلمة أو الجملة عن محيطها الخارجي أو سياق حالها، وهذا مبدأ من مبادئ النظريات السياقية، ويتضح ذلك عند سيبويه من خلال ربط الجمل المختزلة لغوياً التي لا يفهم معناها إلاّ بسياقها»[12].

(1) العين: 299/3 مادة (حول).
(2) لسان العرب (دار المعارف): 1057/2 مادة (حول)
(3) المصدر السابق: 1341/2 مادة (دخل).
(4) المصدر السابق: 1341/2 مادة (دخل).
(5) المصدر السابق: 1341/2 مادة (دخل).
(6) الاتصال غير اللفظي في القرآن الكريم: 40.
(7) لغة الجسد، بيتر كليون: 6.
(8) الاتصال الصامت، عبد الله عودة (بحث منشور): 3.
(9) سيكولوجية الدافعية والانفعالات، محمد محمود: 340.
(10) الكتاب: 272/1 و340.
(11) المصدر السابق: 272/1.
(12) سياق الحال في كتاب سيبويه: 232.

3_ الجاحظ: (ت255هـ) ذكر في كتابه البيان والتبيين جميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغيره «أولها اللفظ، ثم الإشارة، ثم العقد، ثم الخط، ثم الحال التي تسمى نصبة»[1]، وقد وضّح دلالات الإشارة، فتكون باليد، وبالرأس، وبالعين، وبالحاجب، والمنكب، إذا تباعد الشخصان، وبالثوب وبالسيف.... والإشارة واللفظ شريكان، فنعم العون هي له ونعم الترجمان هي عنه.... ولولا الإشارة لم يتفاهم الناس خاص الخاص[2].

وبيّن الجاحظ فائدة الإشارة بأنّها «مرفق كبير، ومعونة حاضرة، في أمور يسترها بعض من بعض ويخفونها من الجليس وغير الجليس»[3]. وفي كتبه تفصيلات أخرى لا يسع البحث الإتيان بها كلّها.

3_**المبرّد(ت 286):** استعمل المبرد مفهوم (مشاهدة الحال)، للدلالة على هذه القرينة[4]، ولعله أول من استعمل هذا الاصطلاح.

4_ ابن جني(293) قال فيها: «وهذا باب واسع، وإنّما يعتمد في تحديد الغرض فيه بما يصحب الكلام من أوله، أو آخره، أو بدلالة الحال، فإنّ لها في إفادة المعنى تأثيراً كبيراً، وأكثر ما يعتمدون في تعريف ما يريدون عليها»[5]

5_ وقال **البغوي:** (**ت 510هـ**) «والإشارة قد تكون باللّسان وبالعين وباليد»[6].

ويتضح لنا من تلك الإشارات أنّ العلماء العرب القدامى قد أحاطوا بأبعاد الظاهرة اللغوية من دون أي تفريط لأي ركن من أركانها، فقد وجدوا أنّ كثيراً من التراكيب اللغوية لا يمكن الإحاطة بدلالاتها من دون معرفة المقام أو السياق الحالي الذي ذكر فيه النص أو الظروف المحيطة أو المتعلقة به.

المطلب الثالث: مفهوم القرينة الحالية الداخلية في تفسير الواحدي:

يمكن استنباط أوضاع الاتصال بواسطة القرينة الحالية الداخلية، مع التأكيد على أنّها هي الجزء المهمّ من الاتصال غير اللغوي، من خلال السياق، وهي:

الوضع الأول: الوضع الذي تتخذه لغة الصمت، وتتم بوساطة الإشارة باليد أو العيون ولها دلالات معينة مفهومة بين المرسل والمتلقي.

الوضع الآخر: الوضع الذي تقوم به **الأصوات**، مثل الولولة، والتأفف، والتأوه، وغيرها من الأوضاع التي تدخل فيها الأصوات مع هيئة الشخص.

الوضع الثالث: الوضع الذي تتخذه **بالحركات** ويضمّ الاتصال بواسطة العيون، وتعبيرات الوجه، وحركات الأعضاء، والهيأة والمظهر.

الوضع الأول – لغة الصمت:

فمن تلك الآيات، قوله تعالى:﴿قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّيَ آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزًا وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ﴾[آل عمران:41]، إلاّ إشارة بيد أو رأس أو غيرهما.

قال الواحدي في تفسير قوله: «﴿ إِلاَّ رَمْزًا﴾ والرّمز الإيماء بالشفتين، والحاجبين والعينين؛ يقال: رمَز يَرمُز ويرمِز، ومنه قيل للفاجرة رامِزة، ورَمّازة؛ لأنّها ترمز وتومئ ومنه الحديث أنه: **((نهى عن كسبِ الرَّمّازة))**[7]»[8]، ويظهر من كلام الواحدي أنّ الرمز سدّ مسدّ الكلام، وأدى الرسالة نفسها التي يؤديها.

وفي قوله تعالى:﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴾ [مريم:29]، تعني الإشارة: الإيماء إليه، ويكون ذلك بالكف والحاجب والعين[9]، وهذا ما تفطن له الواحدي إذ تَلَمَس اللغة الجسدية بلحاظ تبادل النظر بين المتكلم والمخاطب باستشراف

(1) البيان والتبيين: 76/1.
(2) ينظر: المصدر السابق: 78/1.
(3) المصدر السابق: 78/1.
(4) ينظر: المقتضب: 81/2.
(5) المنصف، ابن جني: 255/1.
(6) معالم التنزيل: 36/2.
(7) ورد الحديث بلفظ الزمّارة، ينظر: البسيط (هامش المحقق): 240/5.
(8) البسيط: 240/5.
(9) ينظر: لسان العرب (دار المعارف): 2358/4، مادة (شور).

حالة التعجب والبهر، إذ قال «تريد أن كلّموه وهو يرضع، فنظر بعضهم إلى بعض تعجباً منها حين أشارت إليه»[1]. ثم ذكر الواحدي دليلاً قرآنياً على أنها أشارت إلى ولدها قائلاً: «ودلّ على أنّها أشارت إليه قوله: ﴿بن بي بر □ □ تن تى تي □ □﴾»[2]، مبيّناً أنّهم «لما أشارت إليه غضبوا وقالوا: سخريتها بنا حيث تأمرنا أن نسأل هذا الصبي أعظم علينا مما صَنَعَت»[3].

ويلاحظ أنّ إشارة مريم(ع) أدّت ما يؤديه الكلام، لذلك فهم قومها منها أنّها تطلب منهم أن يكلّموا عيسى(ع)، والدليل على أنّها أشارت إليه في الكلام، قولهم: ﴿□ □ تن تى تي □ □﴾[4]، فإشارة مريم (ع) أدّت نوعاً من التواصل عن طريق الحركة الجسمية، مما يدلّ على وجود تواصل من دون كلام.

وهذا دليل على أنّ القرينة الحالية الداخلية بأنواعها قد جاءت في القرآن الكريم من خلال عدة آيات كريمة، ممّا يثبت أنّ العرب قد عرفوا هذا النوع من الخطاب فيما بينهم. وأنّ له أهمية كبيرة في عملية التواصل، وما يقدّمه من دلالات تساعد على فهم النص.

الوضع الثاني – الأصوات:

وقد تنبّه العلماء العرب وفي مقدمتهم الخليل في العين[5]، وسيبويه في الكتاب[6]، على مسألة علاقة الصوت بالمعنى، فضلاً عن عباد الصيمري، الذي كان يستطيع تحديد المعنى من أصوات اللفظة وائتلاف بعضها مع بعض[7].

ولابن جني أثر كبير في الاهتمام بالأصوات في تحديد المعاني في نحو قوله: «ألا تراهم قالوا: قضم في اليابس، وخضم في الرطب، وذلك لقوة القاف وضعف الخاء، فجعلوا الصوت

الأقوى للفعل الأقوى، والصوت الأضعف للصوت الأضعف»[8]. ومن الأصوات ما يأتي:

1. الولولة:

الويل: كلمة «مثل ويح... والويل: حلول الشّر... وقد تدخل عليه الهاء... والويلة الفضيحة والبلية، وقيل هو تفجع»[9]. فإذا قالت المرأة: «يا ويلها، قلت: وَلْوَلَت؛ لأنّ ذلك يتحوّل إلى حكاية الصوت»[10]، قال الراغب الأصفهاني: «ويل قُبْح، وقد يستعمل على التحسر»[11].

لقد وردت **(يَا وَيْلَتَا)** في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم[12]، منها ما ورد في مواقف الندم، أو في أمر خارق للعادة، أو للتعجب. وفي فحواها إشارة إلى أنّها تحمل تفجعاً وولْولة لأنّ ذلك يتحول إلى صوت[13].

ففي قوله تعالى: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾[المائدة:31]، دلّت على أن الويل حصل لعجز الأخ من أن يواري سوءة أخيه بعد مقتله، ولم يصل إلى ما وصل إليه هذا الكائن الصغير، فاضطرّ إلى التحسّر والمناداة بالويل له. ومن الطبيعي أنّ قوله يكون مصحوباً بصوت عال، وهذه الكلمة دائما تقال بنغمة عالية عند العجز. لذا صحب التلفظ بها أحد أحرف النداء وهو (يا النداء)، فالنداء له أدوات يستفاد منها التنبيه، وهذا الحرف لابدّ له من امتداد صوتي عال، يطلب من المخاطَب الإقبال إلى ناداه[14]، وهذا لا يتم إلاّ بهذا العلو

(1) البسيط: 239/14.
(2) المصدر السابق: 239/14.
(3) المصدر السابق: 241/14.
(4) ينظر: المصدر السابق: 239/5.
(5) ينظر: العين: 60/5. وينظر: الخصائص(دار الكتب): 152/2.
(6) ينظر: الكتاب: 217/2_218. وينظر: الخصائص(دار الكتب): 152/2.
(7) ينظر: المزهر، السيوطي: 74/1.
(8) الخصائص (دار الكتب): 65/1، وينظر: فقه اللغة العربية، الدكتور كاصد الزيدي: 49.
(9) لسان العرب (دار المعارف): 4938/6 مادة (ويل).
(10) المصدر السابق: 4939/6 مادة (ويل).
(11) المفردات في غريب القرآن: 560 مادة (ويل).
(12) والموضع الثالث، قوله تعالى: ﴿يم ين يى يي ئج ئح﴾ [الفرقان:31]، ينظر: البسيط: 476/16.
(13) ينظر: لسان العرب (دار المعارف): 4939/6 مادة (ويل).
(14) ينظر: شرح ابن عقيل: 115/3.

من الصوت، وهذا ملمح دلالي التفت إليه الواحدي يرى إن (يا ويلتي) فيها صوت مع التعجب، فيقول «المعنى يا ويلتا تعالي، فإنّه من إبّانك، أي قد لزمني الويل وكذلك يا عجباً: يا أيّها العجب هذا وقتك»[1]. ثمّ أشار إلى أنّ «الوقت* في غير القرآن: يا ويلتاه»[2].

وفي قوله تعالى: ﴿قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَاْ عَجُوزٌ وَهَـذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَـذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾[هود:72]، جاءت لفظة ﴿**يـا**﴾ نداء ندبة، وهي كلمة يقولها الإنسان عند رؤية ما يتعجب منه[3]، تحمل في طياتها طيفاً من الأصوات المصحوبة بالتعجب، وغالباً ما تؤدّى بنغمة عالية، فجاء بها القرآن الكريم للتعجب من أمر هو خارق للعادة عند الإنسان.

فأغنت هذه اللفظة عن ألفاظ أخرى عدة، بل إنّ تحتها معان كثيرة جداً ربما لا تؤدّي الألفاظ ما جاءت به كلمة ﴿***يـا***﴾ مثل إظهار العجز أو التعجب أو الألم والمشاعر، فيذهب بالكلام كثير منها، فضلاً عن كثير من الأحوال المصاحبة لها، فلا يمكن رسمها بالكلمات الملفوظة.

لذلك جاءت الآية الأخرى في سورة الذاريات تحمل دلالة صوتية، فقد وردت لفظة **(صَرَّة)** في قوله تعالى: ﴿ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴾[الذاريات:29]، إذ لجأت زوج إبراهيم (ع) إلى ثلاثة أنواع من التعبير:

الأول: صوتي انفعالي غير مألوف، للتعبير عن الدهشة والتعجب من بشرى الإنجاب وهي عجوز عقيم، ومن المألوف أن يصدر الإنسان أصواتاً تعبيراً عن تلك المفاجأة والدهشة. فقد عبّر عن الانفعال بصوت المفاجأة والدهشة الذي أطلقته، إذ إنّ معنى **صرصر:** صوَّتَ وصاحَ أشدّ الصياح[4]، وهذا ما تفطن له الواحدي إذ يرى إن الصرة هي الصحبة وارتفاع الصوت، فقال: «ومعنى الصّرّة في اللغة: الصّيحة... قال المبرد: القوم في صرّة واحدة، إذا ارتفعت أصواتهم وأنشد قول المهلهل[5]:

فَلولا الريحُ أسْمَعَ أهلَ حجْرٍ صريرَ البَيْضِ يُقْرَعُ بالذكورِ»[6]

وذهب بعض المفسرين إلى أنّ **الصّرة** هو صوت (أوّه) أو (يا ويلتا)، وإلى ذلك أشار الواحدي في البسيط قائلاً: «قال المفسرون: في ضجّة وصيحة. قال الفرّاء: إنّ تلك الصيحة (أَوّه) بوزن (عَوّه)، وقال بعضهم: كانت بقوله: يا ويلتا»[7].

والثاني: لطم الوجه أو الجبين وهو حركي انفعالي، وذلك ببسط يدها أو بأطراف أصابعها، حينما تعجز اللغة عن التعبير في المواقف الانفعالية، قال الواحدي: «وضعت أصابعها على وجهها. وقال الكلبي ومقاتل: جمعت أصابعها فضربت جبينها تعجباً»[8]، ولا نذهب بعيداً، فهذه الطريقة متعارف عليها عند النساء إلى أيامنا هذه، فإذا ما تعجبت المرأة من أمر ما، استعملت هذه الطريقة للتعجب مصحوبة بالصوت والصّكّ والكلام معاً.

والثالث: كلامي: ﴿ يجـ يجـ﴾، وهو ليس انفعالياً في دلالته، إنّما هو كلام إخباري في الظاهر لا يحمل أية عواطف أو آثار نفسية تتناسب مع الدهشة أو الاستغراب، مما يصحّ أن نقول إنّ: «هذه الحركة من السواد التي سدّت مسدّ قولنا: فتعجبت منكرة مستهجنة، ومن الكواشف النفسية المنبئة عن حواشي نفس امرأة عجوز بُشّرت بحمل فَولادة»[9].

وقد التفت ابن جني إلى هذا السياق في قول الشاعر[10] فقال: «ألا ترى إلى قوله:

تقولُ_ وَقَدْ صَكَّتْ وجهَها بِيَمينِها_ أَبَعْلِيَ هذا بالرَّحى المُتَقاعِسُ

(1) البسيط: 344/7.
* الصواب: الوقف. ولم يلتفت إليها المحقق، ينظر معاني القرآن، الزجاج: 167/2_168.
(2) ينظر: البسيط: 344/7.
(3) ينظر: تفسير البغوي: 189/4.
(4) لسان العرب (دار المعارف): 2429/4 مادة (صرر).
(5) ديوانه: 43.
(6) البسيط: 452/20.
(7) المصدر السابق: 452/20
(8) المصدر السابق: 452/20.
(9) البيان بلا لسان دراسة في لغة الجسد، الدكتور أسعد عرار: 198، وينظر: لغة الجسد عمر عتيق:13.
(10) البيت لهذلول بن كعب العنبري، ينظر: شرح ديوان الحماسة: 696.

فلو قال حاكياً عنها: أبعلي هذا بالرحى المتقاعس، من غير أن يذكر صكّ الوجه، لأعلمنا بذلك أنّها كانت متعجبة منكرة، *لكنّه لما حكى الحال فقال:* (وصكّت وجهها) علم بذلك قوة إنكارها، وتعاظم الصورة لها»[1].

فنبّه على أنّ هذه الإشارة _صكّ الوجه_ اختصرت كلاماً كثيراً، ورسمت صورة لحالها، «هذا مع إنّك سامع حكاية الحال، غير مشاهد لها، ولو شاهدتها لكنت بها أعرف، ولعظم الحال في نفس تلك المرأة أبين، وقد قيل: **(ليس المخبَر كالمعاين)**[2]، ولو لم ينقل إلينا هذا الشاعر حال تلك المرأة بقوله: وصكت وجهها، لم نعرف به حقيقة تعاظم الأمر لها»[3].

وهذه اللفظة_ أعني بها **صرّة**_ مستعملة عند النساء في الأرياف أيامنا هذه، وتأتي دلالتها على الصخب والحركة، في كثير من أحوالها، وبالدلالة القرآنية ذاتها.

2. *التأفّف:*

وردت كلمة **(أُفّ)** ثلاث مرات في القرآن الكريم، اختصّت بالوالدين في اثنتين منها، والثالثة في قوم إبراهيم(ع)، فالأولى قوله تعالى:﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا﴾ [الإسراء:23][4]، *وهي من أسماء الأفعال المرتجلة الدّالة على المضارع وتعني أتضجّر.*

وذكر الواحدي أنّ في (الأفّ) سبع لغات هي: «الكسر بغير تنوين وبتنوين، والضم بغير تنوين وبتنوين، وكذلك الفتح بهما»[5]، والسابعة وهي (أفّي)[6]، وقد ذكر أبو حيان نحواً من أربعين لغة فيها[7]. وقد جمع الواحدي لها معان عدّة، منها:

أ_ «العرب تقول: جعل فلان يتأفّف من ريح وجدها: معناه: يقول: أفّ أف»[8].

ب_ «الأُفّ: وسخ الأذن، والتف: وسخ الأظفار، يقال ذلك عند استقذار الشيء، ثم كثر حتى استعملوه عند كل ما يتأذون منه»[9].

ج_ «أف معناه: قلة، وتف إتباع مأخوذ من الأفف، وهو الشيء القليل»[10].

د_ «الأفف: الضجر»[11].

هـ_ «وقال القتيبي: أي لا تستثقل شيئا من أمرهما، قال: والناس يقولون لما يستكرهون ويستثقلون: أفّ له»[12].

و_ *ما جاء بمعنى:* «*نتناً لكم*»[13]، *كما في سورة الأنبياء،*

ز_ أو بمعنى: «الرديء من القول»[14]، *فضلاً عن معانٍ أخر ذكرت في مضانّها.*

ثمّ حدّد الواحدي أصل هذا اللفظ مستشعراً اللغة التي تحكيها كلمة (أف) إذ يرى إنها جاءت من النفخ لما يسقط من تراب وغيره فقال: «وأصل هذا نفخك للشيء يسقط عليك من تراب أو رماد، وللمكان تريد إماطة أذى عنه فقيل لكل مستثقل»[15]، وهو بهذا يرى القول في تطابق اللفظ والمعنى.

(1) الخصائص(دار الكتب): 245/1.
(2) مسند أحمد(كوريا): 215/1.
(3) الخصائص(دار الكتب): 245/1.
(4) والأخريان وردتا في الأنبياء في الآية: 67، وفي الأحقاف في الآية: 17. وأحال إلى هنا في تفسيرهما.
(5) البسيط: 301/13.
(6) ينظر: المصدر السابق: 302/13.
(7) ينظر: البحر المحيط: 23/6.
(8) البسيط: 304/13.
(9) المصدر السابق: 304/13.
(10) المصدر السابق: 304/13.
(11) المصدر السابق: 304/13.
(12) المصدر السابق: 304/13.
(13) المصدر السابق: 119/15.
(14) المصدر السابق: 184/20.
(15) المصدر السابق: 304/13.

ولفظة (أفٍّ) الواردة في قوله تعالى: ﴿□ □ □ □﴾، هي «غير متمكن بمنزلة الأصوات»[1]، دالّ على عقوق الوالدين بشكل كبير، فمع وجازة هذه اللفظة (أفّ)، فإنّها أوصلت الدلالة والمعنى بشكل واضح للأذهان، إذ اختصرت معان كثيرة بلفظ موجز واحد.

وهذا اللفظ ما زال مستعملاً إلى اليوم وبالدلالة ذاتها دل على التضجر ونفي القول للشيء، ونفي ارادته القول به، فأغنى عن كثير من المعاني بأقل الألفاظ، وأكثر المعاني، فضلاً عن تأثيره المعنوي العميق في المخاطَب، فهو قرينة داخلية إذا صدر من الأبناء لآبائهم، دالّاً على عصيانهم لله تعالى باقتراف عقوق والديهم.

3. **التــأوّه:**

والتأوه قرينة حالية داخلية، وردت في القرآن الكريم في موضعين بلفظ واحد هو: (أَوّاه)[2]، مصحوبة بلفظة (حليماً) متقدمة عليها مرة، ومتأخرة عنها أخرى، في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيم﴾[التوبة:114]، وقوله تعالى: إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ [هود:75].

وأصل كلمة أوّاه من التأوّه صيغة مبالغة على وزن (فعال), الذي يُكثِر التأوّه فيصدر منه صوت التأوّه, فحينما يتأوه الإنسان من شيء يصدر منه هذا الصوت، فيسمّى التأوه, فإذا أكثرَ من هذا التأوّه قيل له أوّاه[3].

والتأوّه قد يكون بسبب التوجّع وهذا التوجع له أسباب كثيرة, لكن هذا التأوه تأوه الأبرار بسبب خشيتهم من الله عزّ وجل وتعظيمهم له, يعني حال لجوئهم إلى الله ودعائهم واستغاثتهم بالله وضراعتهم له يصدر منهم هذا الصوت[4].«وكلّ كلام يدلّ على الحزن يقال له: التأوه، ويعبّر بالأوّاه عمّن يظهر خشية الله تعالى»[5]. *وبسب الجدال الذي حصل من إبراهيم (ع) سمي أواه، وكان تأوّهُ* إبراهيم بسبب عناد أبيه وكفره، لذلك أكثر من التأوّه خوفاً من ربّه وطمعا فيه[6]، وقد استشعر هذه الدلالة من اللفظ (أوّاه)، أي القول: آه للتوجع وإظهار الحزن، قال: «تأوه الرجل تأوّهاً وأوه تأوهاً إذا قال: آه للتوجع، ومنه قوله[7]:

..... **تأوّه آهةَ الرجلِ الحزينِ**

ويقال لتلك الكلمة: آه وهاه وآهة وأوه»[8]، ولم يكتف بذلك بل نجده يدخل إلى إعماق النفس الإنسانية حينما يصدر التأوة(الحزين الكئيب) صوتاً حزيناً، فقال: «وهو توجع الحزين الكئيب يخرج نفسه بهذا الصوت لينفرج عنه بعض ما به»[9]. فدلّل على أنّ التأوه صوت يخرج مع النفس لمن ذهبت نفسه حسرات على أمور تخرج عن إرادته.

وملخص القول: أنّ ألفاظ الولولة والتأوه والتأفف أوجزت تحتها عدة ألفاظ منضوية معها، وصوراً متنوعة لحالات معينة يمرّ بها الشخص المتكلم، وأنّ المفردات القليلة في حروفها الغزيرة في دلالاتها، أغنت عن كثير من الألفاظ، التي لا تستطيع إيصال المعنى بشكل تام، من دون اللجوء إلى هذه القرينة.

الوضع الثالث – الحركات:

وتنجم عن الانفعال والإثارة حركات متعددة لأحد أعضاء جسم الإنسان، تأتي على وفق المقام الذي يمر به المتكلم، مثل حركات الأصابع وعضها، واليدين، وليّ الرؤوس، وهيأة الجسد، وما شابه ذلك. ومن تلك الحركات:

(1) المصدر السابق: 301/13.
(2) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي: 131 مادة (أوه).
(3) ينظر: لسان العرب (دار المعارف): 178/1_179 مادة(أوه).
(4) ينظر: المفردات في غريب القرآن: 37 مادة (أوه)
(5) المفردات في غريب القرآن: 37 مادة (أوه).
(6) ينظر: البسيط: 76/11.
(7) البيت للمثقب العبدي، وصدره: إذا ما قمت أرحلها بليل. ديوانه: 194.
(8) البسيط: 78/11.
(9) المصدر السابق: 78/11.

1. حركات الأصابع:

وردت حركة الأصابع في القرآن الكريم بأوضاع عدة، منها وضع الأصابع في الأذن، في حالات الخوف، والكراهية، والحقد، فقد وردت ثلاث آيات في ثلاث دلالات هي:

أ. وضع الأصابع في الآذان للدلالة على الخوف:

ومنه قوله تعالى:﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاء فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ واللّهُ مُحِيطٌ بِالْكافِرِينَ﴾ [البقرة:19].

إنّ وضع الأصابع في الأذن يأتي عن اجتماع البرق والرعد والصعق. إذ لا صاعقة من دون برق ورعد. قال الواحدي: «الصواعق جمع صاعقة والصعقة: الصيحة يغشى من يسمعها أو يموت. قال تعالى: ﴿ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاء وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴾[الرعد:13]، يعني أصوات الرعد»[1]، إذ يبصر الواحدي ما يتحصل من الصحيحة عند سماعها وهو ملمح دلالي استشعره من القرينة الحالية، والصاعقة تحرق الجسم كلّه أو بعضه ولا تحرق الأذن فقط.

ولبيان علاقة الأذن بجسم الإنسان، أشار الطبيب الفرنسي **ألفريد توماتس** إلى«أنّ الأذن تتحكّم بكامل جسم الإنسان، وتنظم عملياته الحيوية، وتنظم توازن حركاته وتناسقها بإيقاع منتظم، وأنّ الأذن تقود النظام العصبي عند الإنسان! وخلال تجاربه وجد أنّ الأعصاب السمعية تتصل مع جميع عضلات الجسم، ولذلك فإنّ توازن الجسم، ومرونته، وحاسة البصر، تتأثّر جميعها بالأصوات. وتتصل الأذن الداخلية مع جميع أجزاء الجسم مثل: القلب، والرئتين، والكبد، والمعدة، والأمعاء، ولذلك فإنّ التردّدات الصوتية تؤثّر على أجزاء الجسم بالكامل»[2].

وذهب الآلوسي وهو من المتأخرين إلى أنّ «المعهود إدخال السبابة، فكأنهم من فرط دهشتهم يدخلون أي إصبع كانت ولا يسلكون المسلك المعهود»[3]، فالله سبحانه وتعالى عندما ذكر الأصابع ولم يقل الأنامل، فإنّه يحمل في طياته مبالغة شديدة في تصوير أثر الرعد وقوّته عليهم، فكأنهم من شدة الخوف والذعر حاول كلّ واحد منهم أن يدخل إصبعه في أذنه إلى أقصى درجة ليحميه من الصوت وكأنه بهذه الصورة يحاول الإفلات من هذا المأزق. لذلك قال الواحدي: مصوراً الشعور الذي يصدر من هؤلاء المنحرفين جراء ما يسمعون من صيحة قوية الصوت «ولا يسدّون الآذان إلاّ من شدّة الصوت»[4].

ب. وضع الأصابع في الآذان للدلالة على المعاندة:

ومنه قوله تعالى: وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا [نوح:7]. والآية تدلّ على الكراهية.

وفضلاً عمّا مرّ بنا قبل قليل، فإنّ وضع الأصابع في الأذن يكون عند العجز عن الإتيان بالأدلة والبراهين للردّ على المتكلم. فكأنهم يعجزون ويضعفون، فيلجأون إلى سدّ الأذن لئلا يسمعوا، إمّا كراهية المتكلم، وإمّا كراهية الاستماع للكلام[5].

وحركة الأصابع لسد الأذن هنا إنّما تدل على معنى العناد والرفض لما جاء به نوح (ع)، ويعزّز هذه الدلالة أيضاً التعبير الحركي الآخر في الآية: ﴿ □﴾، وهو ملحظ دلالي استحضره الواحي مبينا ما يحصل لهم من التخفي والاستتار خشية سماع الكلام والدعاء، فقال الواحدي: «جعلوا ثيابهم على رؤوسهم لئلا يسمعوا كلامي»[6] أو«غطّوا رؤوسهم لئلّا يسمعوا دعائي»[1]. كراهة النظر إلى وجه من ينصحهم في دين الله.

(1) المصدر السابق: 205/2.
(2) عالج نفسك بالقرآن، الكحيل: 21.
(3) روح المعاني: 173/1.
(4) البسيط: 206/2.
(5) ينظر: المصدر السابق: 206/2.
(6) المصدر السابق: 251/22.

جـ.عضّ الأصابع للدلالة على الغيظ:

ومنه قوله تعالى: وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوْهُ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿آل عمران:119]، وفيه تعبيران، أحدهما لغوي:ُ□ □ □ □ً، في حالة اللقاء يكون كلامهم كذباً ونفاقاً، والآخر جسدي:ُ**بج بح بخ بم به تج تحتخ**، في حالة الفراق والغياب يكون تعبيرهم عضّاً على الأصابع، وهو تعبير حركي أيضاً.

وفيه قال الواحدي: «وقوله تعالى: ُ**بج بح بخ بم به تج تحتخ**، يُقال عَضّ يعضّ عضّاً وعضيضاً... والأنامل جمع أنملة، وهي أطراف الأصابع»[2].

وعض الأصابع سلوك يلجأ إليه الناس في حال تعرضهم إلى مواقف انفعالية، في نحو الغيظ والندم والحسرة، وهذا ما يلجأ إليه الناس بشكل فسيولوجي حركي يصلح لمواقف مختلفة، ولهذا وردت (من) السببية في الآية ُ**تج تحتخ** وقد ابدع الواحدي بلبيان سبب عضّهم لأصابعهم. وفي هذا قال الواحدي: «وعضّ الأصابع والأنامل واليد: من فعل المغضَب، الذي فاته ما لا يقدر على أن يتداركه، أو يرى شيئاً يكرهه، ولا يقدر على أن يغيره»[3]. وهذه الصورة «كاملة السّمات ناطقة بدخائل النفوس، وشواهد الملامح تسجل المشاعر الناطقة، والانفعالات الظاهرة، والحركة الذاهبة الآيبة»[4].

ثم ذكر الواحدي في العضّ على الأصابع انه استعمال كثير وقد يستعمل بسبب كثرته مجازاً، فقال «كثر استعمال هذا فيه حتى استعمل مثلاً مجازاً فيقال للمغضب: وهو يعضّ يده غضباً وحنقاً، وإن لم يكن هناك عض... قال أبو طالب:

يَعضّون غيضاً خلفنا بالأناملِ»[5]

ويُخفي عضّ الأصابع خطاباً لغوياً لا يستطيع المنافقون إظهاره لفظاً، فضلاً عن أنّ دلالة الغيظ وعدم القدرة عند أعداء الإسلام، هي أبلغ من الكلام فكثيراً ما يُفهم المقابل من غير أن ينطق بشيء، فرب بيان جلّي خير من لسان.

ولابدّ من التنويه هنا بأنّ الآيتين الأوليتين هما في وضع الأصابع في الأذن؛ لذلك جُمع بينهما، والثالثة في عضّ الأصابع من الغيظ فأفردت عنهما.

فحركات الأصابع تلك تحمل في طياتها من عمق التعبير ما يفوق الوصف المباشر بالخوف، فضلاً عن دلالاتها النفسية، التي يعجز الوصف عن ذكرها.

2. حركات الرأس:

ومن الآيات التي جاءت لدلالة المفردة على حركة رأس الإنسان، قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُؤُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ [المنافقون:5].

قال الواحدي: «وقرئ لَوَوا بالتخفيف من الليّ، وهو يصلح للقليل والكثير، ويشهد لهذه القراءة قوله: ُ□ □ □ً[النساء:40]، ولوّوا من اللّي. وقرئ بالتشديد، وهو يختصّ بالكثرة، والفعل ها هنا لجماعة* فهو كقوله:ُ□ □ □ □ً[ص:50]»[6].

جاء في لسان العرب: «لَوى رأسه: أمال وأعرض، وألوى رأسه ولوى رأسه: أماله من جانب إلى جانب»[7].

---

(1) المصدر السابق: 251/22.
(2) المصدر السابق: 549/5.
(3) المصدر السابق: 549/5، وينظر: الجامع لأحكام القرآن: 182/4.
(4) في ظلال القرآن: 452/1.
(5) البسيط: 549/5.
(6) المصدر السابق: 473/21.
* لعل الصواب للجماعة.
(7) لسان العرب(دار المعارف): 4108/5 مادة (لوى).

وهذه الآية نزلت في عبد الله بن أُبَيّ[1]، لتبيّن حالة أحد المنافقين، الذين عُرِضَ عليهم أن يذهبوا إلى النبيّﷺ لكي يستغفر لهم على ما بدر منهم من معصية، «فأبوا ذلك وزهدوا في الاستغفار»[2]، فكان ردّه بهذه الطريقة التي تدلّ على رفضه لهذا العرض. وهذه الحركة متعارف على دلالتها بين الناس.

قال الواحدي: «وقال أكثر المفسرين: إنّما دعي إلى الاستغفار؛ لأنّه كان قد قال: ﴿ ﴾[المنافقون:8]، وقال: ﴿ ﴾[المنافقون:7]، فقيل له: تعال يستغفر لكم رسول الله، فَلَوى رأسه وقال: ماذا قلت؟ فذلك قوله: ﴿ ﴾، قال مقاتل: عطفوا رؤوسهم رغبة عن الاستغفار»[3]. وهذه اللفظة دخلت لبيان دلالة الحركة التي يتّخذها المتكبر سبيلاً للتصرف مع الآخر حين تنقصه الحجة، ولتوضيح حالة العناد عند المنافقين، ولا يخفى الملمح الدلالي الذي رصده الواحدي من حركة الرأس الذي يتخذها المتكبر حينما تعوزه الحجة والدليل.

وحركة الرأس في الآية الكريمة أغنت عن كثير من الألفاظ بعبارة موجزة قصيرة. فجاءت لفظة **(لوّوا)** قرينة حالية لإيضاح دلالات التعنّت والتكبر اللتين كانتا من العادات الجاهلية المذمومة التي يتلبس بها الشخص المعاند ويتّخذها سبيلاً للتّصرف حين تنقصه الحجّة، ويفقد الدليل والبرهان على مواجهة الغير وبيان الرأي السليم، وعدم الاعتراف بالذّنب أو الخطأ.

ويمكن أن نستنبط أنّ الحركات الجسمية تكون عاملاً مهمّاً من عوامل الاقتصاد اللغوي، من حيث الإيجاز والاختصار، الذي ينشده الناس.

3. حركة الكـفّين:

تؤدي حركات الكف الواحد من حيث الانقباض والانبساط، وعضّ الأنامل، وما إلى ذلك دلالات متنوعة، يحدّدها السياق أو المقام. فـ«اليد هي أداة امتداد الدماغ، والجزء الوحيد في الجسم البشري الذي هو دوما تحت العينين، والرابطة المميزة مع العالم الخارجي»[4].

ففي قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لاَ يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ اللّهُ جَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّواْ أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُواْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾[إبراهيم:9]، ذكر الواحدي عدّة دلالات لحركة الأيدي تمثل عناصر وبينات لقائه تبين دلالات الحركة التي بدأت من الأيدي، بسبب غياب المشاهدة البصرية، وعدم رؤية العين لحركة اليد نحو الفم، فأشار إلى أن العلماء اختلفوا في تأويل الآية على وجوه منها:

أ. «عضّوا عليها غيظاً، والمعنى سبّوا الرسل وأبغضوهم وثقل عليهم مكانهم»[5].

ب. «وضعوا الأيدي على الأفواه إشارة إلى الرسل أن اسكتوا»[6].

ج. «كان إذا جاءهم الرسول سكّتوه وأشاروا بأيدهم إلى أفواه أنفسهم كما تسكت أنت غيرك»[7].

د. «كانوا يأخذون أيدي الرسل فيضعونها على أفواههم ليسكتوهم ويقطعوا كلامهم»[8].

هـ. «ردُّوا نعم الرسل بأفواههم، فالأيدي ههنا المراد بها النعم»[9]،

(1) ينظر: أسباب النزول، الواحدي (صقر): 461.
(2) البسيط: 472/21.
(3) المصدر السابق: 473/21.
(4) موقع شبكة الناصرة الثقافية: *http//www.alnassrah.com/threads/13030* في 2015/7/3.
(5) البسيط: 411/12
(6) المصدر السابق: 411/12
(7) المصدر السابق: 411/12.
(8) المصدر السابق: 412/12.
(9) المصدر السابق: 412/12.

و. واستعمل الواحدي لغة طيّئ في توضيح إحدى الدلالات فقال: «وقال أبو بكر: ويجوز أن يكون المعنى: ردّوا نعم أنفسهم؛ لأنّها نعم من الله عليها رفضوها واطّرحوها، وجاء رجل (في) على معنى الباء[1]، لقيام بعض الصفات مقام بعض، وتقول طيئ أدخلك الله في الجنة، وأنشد الفرّاء:

وأرغبُ فيها من لَقيطٍ ورَهْطِهِ ولكنّني عن سِنْبِس لَستُ راغِبُ[2]

أراد: أراغب بهذه المرأة عن هؤلاء... ومعنى في أفواههم: بأفواههم، أي ردّوا تلك النّعم بالنطق بالتكذيب بما جاءت به الرسل كما يقول: جلست في البيت وبالبيت، وهذا معنى قول مجاهد: ردّوا نعمهم بأفواههم»[3]، وهذه الدلالات كلّها محتملة لحركة الأيدي على الأفواه.

والذي دعا الواحدي هنا إلى ذكر مجموعة من الآراء في دلالة حركة اليد، هو غياب رؤية العين لحركة الأيدي تجاه الأفواه، وغياب السّياق النفسي، كما يقتضي الأمر مشهداً بصرياً لحركة اليد وإدراكاً لأحوال المتلقي النفسية.

وقد أدرك الواحدي أنّ دلالة ردّ الأيدي إلى الأفواه عبّرت عن معانٍ كثيرة، بدلالة عدم القدرة على الكلام أثناء وضع اليد في الفم فقال: «ويكون المعنى على هذا: لم يجيبوا الرسل إلى ما دعوهم إليه، فعبّر عن ترك إجابتهم بوضع اليد في الفم؛ وذلك أنّ الواضع يده في فمه لا يقدر على الكلام»[4]. وأيا كان الأمر فإنّ وضع اليد على الأفواه منع كلاماً كثيراً، التجأ إليه الكافرون؛ لأنّ الحجة أعجزتهم عن الكلام، وما استطاعوا جواباً، فضلاً عن أنّ الآية الكريمة تحمل تأثيراً نفسياً عميقاً أكبر ممّا لو كان الوصف تعبيراً بواسطة الكلام المنطوق أو المكتوب.

وهناك حركة أخرى لأيدي الكفار ورد وصفها في قوله تعالى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لاَ يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلاَّ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاء لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاء الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلاَلٍ﴾ [الرعد:14]، وللبسط دلالات منها الطلب[5]، ونقيض القبض[6].

ففي تفسير قوله تعالى: ﴿□نم نى □ □ □ □﴾ ذكر الواحدي ثلاثة أوجه أشار فيهما إلى الدلالات المرصودة من حركة اليد المتحصلة:

الوجه الأول: قال الواحدي: « قال مجاهد: يدعو الماء بلسانه ويدعو بيديه، فلا يأتيه الماء أبداً»[7]

الوجه الآخر: قال الواحدي: « هو مذهب الكلبي وغيره، قال: كمادّ يده إلى الماء من مكان بعيد، وهو مشرف على ذلك الماء فلا يبلغه، ولا يبلغ الماء فاه»[8]

الوجه الثالث: قال الواحدي: «وهو أنّ العرب يضربون المثل لمن سعى فيما لا يدركه، وتعاطى ما لا يجد منه شيئاً، بالقابض على الماء، وذلك أنّ القابض على الماء لا يحصل في يده منه شيء، المعنى لا يصير في أيدهم إذا دعوهم إلاّ ما يصير في يدي من قبض على الماء ليبلغ فاه»[9].

فهو تشبيه تمثيلي رائع، فقد شبهت قلة جدوى الدعاء للآلهة بمن أراد أن يغرف الماء بكفيه ليشربه، فيقبض على الماء، فلم تلق كفاه منه شيئاً ولم يبلغ طلبته من شربته[10].. والعرب تضرب المثل في الساعي فيما لا يدركه بالقابض على الماء[11].

(1) ينظر: الجنى الداني: 251.
(2) البيت مجهول القائل، وقد ورد في البسيط راغبُ، وهو غلط، ولم يلتفت إليه المحقق، والصواب: لستُ أرغبُ، ينظر: معاني القرآن، الفرّاء: 70/2.
(3) البسيط: 412/12.
(4) المصدر السابق: 413/12.
(5) ينظر: تاج العروس: 144/19 مادة(بسط).
(6) ينظر: لسان العرب(دار المعارف): 282/1 مادة (بسط).
(7) البسيط: 323/12.
(8) المصدر السابق: 323/12_324.
(9) المصدر السابق: 324/12.
(10) ينظر: الكشاف: 537.
(11) ينظر: روح المعاني: 125/13.

إنّ الحركة الماثلة التي وصفتها الآية الكريمة تمثل حالة فريدة في الوصف، ﴿ ﴾[إبراهيم: ٢٥]، فحال الإنسان المشرك الذي يدعو مع الله إلهاً آخر، ويرجو ممّن لا يُرجى، ويطلب ممن لا يملك العطاء، تشابه حال من يقبض بكفيه على الماء، من غير أن يستعين بالة لإيصال الماء إليه، فهذه الحركة الجسدية بليغة مؤثرة، تدلّ على الطلب من غير سلوك الطرق المؤدية إلى ذلك[1].

خاتمة البحث ونتائجه:

وبعد تلك السياحة في القرينة الحالية وأثرها في توجيه المعنى في التفسير البسيط، نخلص إلى جملة من النتائج هي:

1. أنّ مظاهر القرينة الحالية الداخلية من حيث لغة الصمت وما تؤديه من تعبير، والصوت مثل الولولة والتأفف والتأوه، تساعد في تحديد وتعيين دلالات كثير من الألفاظ، وتأدية كثير من المعاني. وبذلك يصح المعنى القرآني المطلوب، وربما تكون هذه الحركات ابلغ دلالة من البيان اللساني.
2. أدرك الواحدي حرص القرآن الكريم على تنوّع طرق التلقي في إيصال الدلالات والمعاني إلى المتلقي العربي وغيره. فأشار إلى مواقف متعدّدة وظّف فيها مظاهر تدل على الأصوات، وما ينضوي تحتها من معان كثيرة، وهو دليل على معاينة الواقع الدلالي.
3. إنّ توضيح دلالات القرآن في التفسير البسيط لا يتم بالقرائن اللفظية والمعنوية فقط، وإنّما يضاف إلى ذلك ما يصاحب الكلام من حركات جسدية بأنواعها، تساعد في الإيضاح والبيان، والوصول إلى الدلالات المرادة والمتعينة.
4. إنّ القرآن الكريم نصٌّ مكتوبٌ في يوم الناس هذا، وهذا النصّ بحاجة إلى هذه القرائن الحالية لإعادة قراءته في ضوئها؛ وذلك لابتعاده عن عصر النزول، مما يساعد على معرفة دلائله بشكل أوضح، فلا بدّ من تلك القرائن لكي تؤدي الغرض كنزوله يوم نزل على نبينا محمدﷺ، وهذه الدعوة إلى تدبر القرآن وفهمه في ظل معاينة الواقع وتكشيف الدلالات وغيرها والحمد لله رب العالمين

مصـــادر البحث ومراجعه:

1. القرآن الكريم (مصحف المدينة المنورة). المدينة المنورة_ السعودية، 1416هـ.
2. الاتصال غير اللفظي في القرآن الكريم: الدكتور محمد الأمين موسى أحمد. دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة_ الإمارات العربية المتحدة، (د.مط)، (ط1)، 2003م.
3. أسباب نزول القرآن: أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي: تحقيق السيد أحمد صقر. دار الكتاب الجديد، (د.مط)، (ط1)، 1969م.
4. البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي(ت745هـ). تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي أحمد معوض. دار الكتب العلمية، بيروت_ لبنان، (ط1)، 1993م.
5. البيان بلا لسان، الدكتور مهدي أسعد عرار: 169. دار الكتب العلمية، بيروت_ لبنان، 2007م.
6. البيان والتبيين: الجاحظ(ت255هـ). تحقيق: عبد السلام محمد هارون. الناشر: مكتبة الخانجي، الشركة الدولية للطباعة، القاهرة، (د.ط)، 2003م.
7. تاج العروس من جوهر القاموس: محمد مرتضى الزبيدي(ت 1205هـ). تحقيق مجموعة من الأساتذة. مطبعة حكومة الكويت. 1979م.
8. التفسير البسيط: أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي(ت468هـ). تحقيق مجموعة من الأساتذة الأفاضل، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، دار العماد للدراسات والبحوث الإسلامية، دمشق_ سوريا، ط1، 2013م
9. الجامع لأحكام القرآن: أبي عبد الله محمد بن احمد الأنصاري القرطبي() دار الكتب المصرية، (ط2)، 1935م_1950م.

(1) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب: 2051/4.

10. الجنى الداني في حروف المعاني: الحسن بن قاسم المرادي(ت ه). تحقيق: فخر الدين قبّاوة، ومحمد نديم فاضل. دار الكتب العلمية، بيروت _لبنان، (ط1)، 1992م.
11. الخصـــائص: أبو الفتح عثمان بن جني(ت392ه). تحقيق: محمد علي النجار. دار الكتب المصرية، (د.ط)، 1952م.
12. دراسات في علم اللغة: الدكتور كمال محمد بشر. دار المعارف بمصر، (ط9)، 1986م.
13. ديوان المثقب العبدي: عني بتحقيقه وشرحه والتعليق عليه: حسن كامل الصيرفي. الناشر: معهد المخطوطات العربية، (د.مط)، (د.ط)، 1971م.
14. ديوان المهلهل: شرح وتحقيق: أنطوان محسن القوال. دار الجيل، بيروت_ لبنان، (ط1) 1995م.
15. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: أبو الفضل شهاب الدين محمود الآلوسي(ت1270ه) إدارة المطبعة المنيرية، ودار إحياء التراث العربي، بيروت_ لبنان، (د.ط)، (د.ت).
16. سيكولوجية الدافعية والانفعالات: محمد محمود بني يونس. دار المسيرة للطباعة والنشر، عمان_ الأردن، (ط2)، 2013م.
17. سياق الحال في كتاب سيبويه: الدكتور أسعد خلف العوادي. دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان_ الأردن، (د.مط)، (ط1)،2011م.
18. شرح ابن عقيل: ابن عقيل الهمداني المصري(ت762 ه). تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد. الناشر مكتبة الهداية. أربيل_ العراق، (د.مط)(د.ط)(د.ت).
19. شرح ديوان الحماسة: أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي(ت421ه). تحقيق: أحمد أمين وعبد السلام هارون. دار الجيل بيروت_ لبنان، (ط1)، 1991م.
20. العيـــــن: الخليل بن أحمد الفراهيدي(ت175ه). تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي، والدكتور إبراهيم السامرائي. مؤسسة دار الهجرة، مطبعة الصدر، إيران، (ط2) 1410ه.
21. فقه اللغة العربية: الدكتور كاصد الزيدي. مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل_ العراق، 1987م
22. في ظلال القرآن: سيد قطب. دار الشروق، الطبعة الشرعية(32)، 1972م.
23. الكتاب: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه(ت180ه): تحقيق عبد السلام محمد هارون. الناشر: مكتبة الخانجي، الشركة الدولية للطباعة، القاهرة_ مصر. ط4، 2004م.
24. الكشاف: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري(ت528ه). عناية: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت_ لبنان، (ط3)، 2009م.
25. لسان العرب: ابن منظور(ت711ه). دار المعارف بمصر، القاهرة (د.ط) (د.ت).
26. لغة الجسد: بيتر كليون. دار الفاروق، (د.ط)، (د.ت).
27. لغة الجسد: فؤاد إسحق الخوري. دار الساقي، (د.ط)، 2000م.
28. المزهر في علوم اللغة: جلال الدين السيوطي(ت911ه). تحقيق: محمد أحمد جاد المولى والدكتور محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي. منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت_ لبنان، 1986م.
29. مسند الإمام أحمد بن حنبل: أحمد بن حنبل. تحقيق: الدكتور أحمد معبد عبد الكريم. دار المنهاج، مطبعة الآداب، كوريا الجنوبية، (د.ط)، (د.ت).
30. معالم التنزيل: الحسين بن مسعود البغوي (ت516ه). تحقيق: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضمرية، وسليم مسلم الحرش. دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض_ السعودية، 1409_ 1411ه.
31. معاني القرآن: أبو زكريا يحي بن زياد الفراء(ت207ه). عالم الكتب، بيروت_ لبنان، (ط3)، 1983م.

32. معاني القرآن وإعرابه: أبو اسحق السري الزجاج(ت311هـ). تحقيق: الدكتور عبده شلبي. عالم الكتب، بيروت_ لبنان، (ط1)، 1988م.
33. معجم علم اللغة التطبيقي: محمد علي الخولي. مكتبة لبنان ناشرون، بيروت_ لبنان، (ط1)، 1986م.
34. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي. مطبعة القدس، قم_ إيران 1386هـ.
35. المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصفهاني(ت502هـ). ضبط: هيثم طعيمي. دار إحياء التراث العربي، بيروت_ لبنان، (ط1)، 2008م.
36. المقتضب: أبو العباس محمد بن يزيد المبرد(ت285هـ) تحقيق عبدا لخالق عضيمة. عالم الكتب، بيروت_ لبنان، (د.ط)، 2010م.
37. المنصف: أبو عثمان ابن جني. تحقيق: إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين. دار إحياء التراث القديم، (ط1)، 1954م.

البحوث المنشورة:

38. الاتصال الصامت: الدكتور عبد الله عودة (بحث منشور). مجلة المسلم المعاصر، مصر. العدد 112، لسنة 2004م.
39. علم الحركات الجسمية: الدكتورة لمى فائق جميل. (بحث منشور). مجلة كلية التربية الأساسية، الجامعة المستنصرية. العدد 73 لسنة 2012م.

شبكة الانترنت:

40. عالج نفسك بالقرآن: عبد الدائم الكحيل: www.kheel7.com.
41. لغة الجسد: عمر عتيق.(بحث منشور على النت).www.qou.edu/arabic/.../omer. Ateeq/search_7
42. موقع شبكة الناصرة الثقافية: http//www.alnassrah.com/threads/13030 في 2015/7/3.